((الوطن ذاكرة الإنسان ))

عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف : <http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب :

<https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3_Hje4JaCw>

الأولى

«مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ» رواه الترمذي وصححه الألباني في المشكاة ( 2724 ).

ما أروعَكِ من كلمات!

كلمات قالها الحبيب @ وهو يودِّع وطنه، في مشهد مؤلم يقطع القلوب ويذرف الدموع

قال العيني في عمدة القاري: ابتلى الله نبيه، عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام، بِالْهِجْرَةِ وفراق الوطن . عمدة القاري شرح صحيح البخاري (10/251) .

فقد وقف بالحزورة وهو ينظر لمكة وشعابها وبيوتها التي ولد فيها ونشأ في أحضانها وعاش على ترابها وبعث من فوق جبالها فخرج يكفكف دمعه «وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِالْحَزْوَرَةِ يَقُولُ لِمَكَّةَ:

«وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ» أخرجه ابن ماجه وصححه الأباني (2/1037).

كلمات تكشف عن حبٍّ عميق، وتعلُّق كبير بالوطن، بمكة وأرضها وترابها ، وحلِّها وحَرَمها ، بجبالها ووديانها، برملها و صخورها ، بمائها و هوائها ، هواؤها عليل ، ولو كان صيفاً حاراً ، ولو كان محمَّلًا بالغبار، وماؤها زلال ولو خالطته الأكدار، وتربتُها دواء ولو كانت قفارًا.

فلا غرابة في حبّ التراب ، والبلد ، والوطن ، والمسكن.

فإذا كان الطائر يحنُّ إلى أوكاره، فالإنسان أحقُّ بالحنين إلى أوطانه.

سقى الله أرض العاشقين بغيثه

وردَّ إلى الأوطان كلَّ غريبِ

وأعطى ذوي الهيئات فوق مُناهم

ومتَّع محبوباً بقرب حبيبِ

قال الجاحظ: " كانت العرب إذا غزتْ وسافرتْ حملتْ معها من تُربة بلدها رملاً وعفراً تستنشقه عند نزْلةٍ أو زكام أو صُداع ". رسائل الجاحظ ( 2/392 )

فالعبد يحبُّ الأرض التي ولد فيها، ونشأ فيها، وشبَّ وتزوَّج فيها، فذكرياتها لا تُنسى، وأحداثها لا تمحى ، فالوطن ذاكرة الإنسان، فيها الأحباب والأصحاب، فيها الآباء والأجداد.

قال الغزالي: "والبشر يألَفُون أرضَهم على ما بها، ولو كانت قفرًا مستوحَشًا، وحبُّ الوطن غريزةٌ متأصِّلة في النفوس، تجعل الإنسانَ يستريح إلى البقاء فيه، ويحنُّ إليه إذا غاب عنه، ويدافع عنه إذا هُوجِم، ويَغضب له إذا انتقص". حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي، ص86.

قال الحافظ الذهبي - وهو من العلماء المدقِّقين - مُعَدِّدًا طائفةً من محبوبات رسول الله @: "وكان يحبُّ عائشةَ، ويحبُّ أَبَاهَا، ويحبُّ أسامةَ، ويحب سبطَيْه، وَيحبّ الحَلْوَاء وَالعَسَل، وَيحبّ جَبَل أُحُد، وَيحبُّ وَطَنه" سير أعلام النبلاء (15/394).

فحبُّ الوطن أمرٌ جبليٌ فطريّ .

نَقِّلْ فُؤادَكَ حَيثُ شِئتَ مِن الهَوى

ما الحُبُّ إلاّ للحَبيبِ الأوَّلِ

كَمْ مَنزِلٍ في الأرضِ يألفُهُ الفَتى

وحَنينُهُ أبداً لأوَّلِ مَنزِلِ

من هنا قرن الله تعالى الإخراج من الديار والأوطان بقتل الأنفس قال تعالى ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠﭡ ﭼ النساء: ٦٦

وجعل القتال وإزهاق الأنفس ثأراً للجلاء والإخراج من الديار فقال سبحانه : ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽﭾ ﭼ البقرة: ٢٤٦

بِلاَدِي وَإِنْ جَارَتْ عَلَيَّ عَزِيزَةٌ

وَأَهْلِي وَإِنْ ضَنُّوا عَلَيَّ كِرَامُ

بل جعل الله النفيَ والتغريبَ عن الوطن عقوبةً لمن عصى، وأتى من الفواحش ما يَستحق به أن يُعذَّب ويُغرَّب.

فعظموا نعمة الوطن بالنظر إلى إخواننا المشرّدين .

عظموا نعمة الوطن بتذكر إخواننا المجاورين التي يهتفون بأبيات نزار :

احتَضنّي .. ولا تناقش جنوني ,,

ذروة العقل يا حبيبي الجنونُ

احتَضنّي .. خمسين ألفاً وألفاً ,,

فمع الضم لا يجوزُ السكونُ

أهي مجنونةٌ بشوقي إليها ,,

هذه الشامُ أم أنا المجنونُ

عظموا نعمة الوطن بالنظر إلى المغتربين والوافدين والمبعدين عن أهلهم وأوطانهم .

تحن الكرام لأوطانها .. حنين الطيور لأوكارها

و تذكر فيها عهود الصبا .. فتزداد شوقا بتذكارها

وقد كان النبي @ يحبّ المدينة ، ملتقى المهاجرين والأنصار ، بعد ما عاش فيها آخر حياته ومات و وري في ترابها @ «فكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَنَظَرَ إِلَى جُدُرَاتِ المَدِينَةِ، أَوْضَعَ رَاحِلَتَهُ وَإِنْ كَانَ عَلَى دَابَّةٍ حَرَّكَهَا مِنْ حُبِّهَا» رواه البخاري .

قال ابن حجر في الفتح : وَفِي الْحَدِيثِ دِلَالَةٌ عَلَى فَضْلِ الْمَدِينَةِ وَعَلَى مَشْرُوعِيَّة حُبِّ الوَطَن والحنين إِلَيْهِ . فتح الباري ( 3/621) .

وطني أسفت عليك في عيد الملا

وبكيت من وجدٍ ومن إشفاق

لا عيد لي حتى أراك بأمةٍ

شماء راوية من الأخلاق

فحبّ الأرض والوطن يا كرام قيمة أخلاقية تظهر على السلوك ليست ادّعاءً ولا التواء .

حبّ الوطن أكبر من قصيدةٍ عصماء ، ونشيدةٍ تردّد في الصباح والمساء .

حبّ الوطن يومٌ أطول من يومٍ يتيم ، وأعمق من شعورٍ عابر ، وأبلغ من لوحةٍ أو مظهر أو شعار .

حبّ الوطن يوم وفاءٍ ودعاء ، وشكرٍ لله وثناء .

حبّ الوطن ذوذوٌ عن حياضه ، ومراقبةٌ لممتلكاته ، وحفظٌ لأمنه ، وقيامٌ بحقوقه ، ودعاءٌ لحكامه وقادته

رِجالَ الغَدِ المَأمولِ إِنَّ بِلادَكُم

تُناشِدُكُم بِاللَهِ أَن تَتَذَكَّروا

عَلَيكُم حُقوقٌ لِلبِلادِ أَجَلُّها

تَعَهُّدُ رَوضِ العِلمِ فَالرَوضُ مُقفِرُ

قُصارى مُنى أَوطانِكُم أَن تَرى لَكُم

يَداً تَبتَني مَجداً وَرَأساً يُفَكِّرُ

فَكونوا رِجالاً عامِلينَ أَعِزَّةً

وَصونوا حِمى أَوطانِكُم وَتَحَرَّروا

كيف يدعي حبّ الوطن من يعبث بأمنه، ويهدر ممتلكاته ويسعى في الأرض فساداً ؟

كيف يدعي حبّ الوطن من لا يتحدّث إلا عن عوراته وخلله ونقصه ، وينسى كرمه وفضله وأمنه ؟

حبّ الوطن ، بيعةٌ وأمانةٌ في أعناقنا .

حبّ الوطن أفعالٌ لا أقوال ، أمانةٌ لا خيانة .

فالوطن كريمٌ عزيزٌ ، جميلٌ حبيبٌ ولو لم يكن كذلك .

بِلاَدِي هَوَاهَا فِي لِسَانِي وَفِي دَمِي

يُمَجِّدُهَا قَلْبِي وَيَدْعُو لَهَا فَمِي

ولا خيرَ فيمن لا يحبُّ بلادَهُ

ولا في حليفِ الحب إن لم يتيم

ومن تؤوِهِ دارٌ فيجحدُ فضلها

يكن حيواناً فوقه كل أعجمِ

ألم ترَ أنَّ الطيرَ إن جاءَ عشهُ

فآواهُ في أكنافِهِ يترنم

ومن يظلمِ الأوطان أو ينسَ حقها

تجبه فنون الحادثات بأظلم

ولا خيرَ فيمنْ إن أحبَّ دياره

أقام ليبكي فوقَ ربعٍ مهدم

وما يرفع الأوطانَ إلا رجالها

وهل يترقى الناسُ إلا بسلم

أقول قولي هذا وأستغفر الله ..

الثانية

الوطن تميته الدموع وتحييه الدماء ،،

الوطن قطعةٌ من القلب فهو المهد الأول وفيه الأمن والأمان ،،

ومن لم تكنْ أوطانهُ مَفْخَرَاً لهُ

فليس له في موطنِ المجدِ مفخرُ

ومن لم يبنْ في قومهِ ناصحاً لهم

فما هو إِلا خائنٌ يتسترُ

ومن كانَ في أوطانهِ حامياً لها

فذكراهُ مسكٌ في الأنامِ وعنبرُ

ومن لم يكنْ من دونِ أوطانهِ حمى

فذاك جبانٌ بل أَخَسُّ وأحقرُ

فـحُبَّ الوطن أمرٌ جِبِلِّيٌّ أقرَّتْه شريعةُ الإسلام، وسنة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام.

فكيف ونحن نعيش ببلدٍ يضُمُّ بين جُغرافيَّته الحرمَين الشريفَين، والبيتَين الكريمَين ، وسيد الثقلين ،ومولد العمرين ؟!

إنها بلادُ الحرمَين التي قامَت على الإسلام منهَجًا ودُستُورًا، وعلى عقيدةِ التوحيدِ قَلبًا وقالَبًا، فالإسلام شعارها في رايتها، والشريعة نظامها في حياتها.

بلدٌ عاشَ أهلُها على السنَّة وتعظيمِها، وإنكارِ البِدع ومُحاربتها .

فهي معقل الشريعة ومنبع التوحيد ، لا وثنَ يعبد، ولا قبر يطاف به، ولا خمّارةً يتردد عليها، حدود الله فيها تقام، ويأمر فيها بالمعروف وينهى فيها عن المنكر، مساجدها معمورة ومع ذلك لا ندّعي الكمال، فالكمال عزيز والقصور البشري حاصل ، لكن الواجب على أهلِها وهم يتنعَمُون بالنِّعَم الوافِرة أن يشكروا الله تعالى ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ إبراهيم: ٧

ويتعاوَنُوا على ما فِيه سلامةُ أمنِ هذه البلاد، وأن يقِفُوا بالمِرصاد لكلِّ مُخرِّبٍ ومُغرِّبٍ، لاسيَّما في مثلِ هذه الظُّروفِ العِصِيبَة التي تعصِفُ بالعالَم كلِّه ، والفتن المتتابعة التي تجعل الحليم حيران، فالحذر الحذر مِن دعوات الشرِّ والفساد،

فالحذر الحذر من دعاة الخبال والضلال ، ووسائل التفريقِ والتمزيقِ والتشرذُمِ، ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶﭷ ﭼ آل عمران: ١٠٣

فحذارِ ثم حذارِ أن نكون طرفاً في نهش الأمن والاستقرار في أوطاننا .

فهذه البلاد عُرِفَت بلزوم السنَّة والمنهج الواضِحِ النقيِّ، الذي لا يُقَرُّ فِيه التطرُّفُ ولا الغلُوُّ، ولا يُعرفُ فِيه منهَجٌ بِدعيٌّ، أو فِكرٌ مُنحرِفٌ .

فلنكن يداً واحدةً مع وُلاةِ أمرِها؛ لتحقيقِ المصالِح المرجُوَّة، ودَرءِ المفاسِد المُتوقَّعة.

فلا تُغيِّرُوا ما أنعمَ الله به عليكُم، فيُغيِّرَ الله حالَكم، كما قال – سبحانه -: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭼ النحل: ١١٢

تمت ..